

تفسير الصافي

(426) ولقد كنت أشرت برأي العلماء والحكماء، وقال له تنوخا: أما إنني لم أزل أرى إنني أفضل منك لزهدي وفصل عبادتي حتى استبان فضلك لفصل علمك، وما أعطاك ربك من الحكمة مع التقوى أفضل من الزهد والعبادة بلا علم، فاصطحبا فلم يزالا مقيمين مع قومهما، ومضى يونس على وجهه مغاضبا لربه فكان من قصته ما أخبره الله به في كتابه فأمنوا فمتعناهم إلى حين، قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): كم كان غاب يونس عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوة والرسالة فأمنوا به وصدقوه؟ قال: أربعة أسابيع سبعا منها في ذهابه إلى البحر، وسبعا في بطن الحوت، وسبعا تحت الشجرة بالعراء، وسبعا منها في رجوعه إلى قومه، فقلت له: وما هذه الأسابيع شهورا أو أيام أو ساعات؟ فقال: يا أبا عبيدة إن العذاب أتاها يوم الأربعاء في النصف من شوال وصرف عنهم من يومهم ذلك فانطلق يونس مغاضبا فمضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر، وسبعة أيام في بطن الحوت، وسبعة أيام تحت الشجرة بالعراء، وسبعة أيام في رجوعه إلى قومه، فكان ذهابه ورجوعه ثمانية وعشرين يوما، ثم أتاها فأمنوا به وصدقوه واتبعوه فلذلك قال الله: (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين). وعنه (عليه السلام): إن يونس لما أذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أول يوم ووجوههم صفراء وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود، قال: وكان الله واعدتهم أن يأتيهم العذاب حتى نالوه برماحهم ففرقوا بين النساء وأولادهن، والبقر، وأولادها، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم وضجوا ضجة واحدة إلى ربهم، وقالوا: آمنا بالله يونس فصرف الله عنهم العذاب، وأصبح يونس وهو يظن أنه هلكوا فوجدهم في عافية. وفي العلل: عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل لأي علة صرف الله العذاب عن قوم يونس وقد أظلمهم ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأمم؟ قال: لأنه كان في علم الله أنه سيمصره عنهم لتوبتهم، وإنما ترك أخبار يونس بذلك لأنه عز وجل أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته.